الحضارة بين الحوار والصراع في عصر العولمة

د. محمود حسينات

مقدمة

قليلة هي المسائل التي أثارت في العلاقات الدولية ما أثارته مقولة « صدام الحضارات » المزعومة . فمنذ بداية القرن المنصرم وعلى نحو خاص منذ المقولة التي أطلقها الأديب الشهير " كبلنج Kipling " (١٨٦٥-١٩٦٣م) ، الذي حصل على جائزة نوبل عام ١٩٠٧م ، من أن « الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » ، أضحت قضية صراع الحضارات والثقافات ، وبالذات قضية الإسلام وتحديه المفترض للغرب محل اهتمام دولي ، وقضية يركز عليها كثير من رجال الفكر والسياسة في أوروبا وأمريكا ، وفضلاً عن بعض المسؤولين السياسيين ، قدّم أكاديميون في كل من الغرب والشرق تصريحات وآراء متناقضة دارت كلها حول « صراع الحضارات » و « حوار الحضارات » . ومن خلال الآراء المتباينة سوف أحاول رسم صورة واضحة لحقيقة الوضع ، أي ، ما إذا كانت الحضارات تتصادم أو تتلاقى ، بعبارة أخرى ، فإن ما نفترضه ، خلافاً لدعوى كبلنج وصموئيل هنتنغتون ، هو أن المصدر الأساسي للصراع في عصر ما بعد الحداثة فيما يسمى بالنظام العالمي الجديد لا يزال يتمثل في حقيقة ما تتعرض له ثقافات العالم من انسحاق وتهديد بالتفكك والدمار نتيجة الصعود الكاسح للثقافة الأمريكية بسبب سيطرة الولايات المتحدة على شبكات العولمة ، وفي حقيقته بسبب التنافس والتزاحم في الموارد المادية والمعنوية (الثقافية) ، أكثر مما يعود إلى انقسامات ثقافية أو دينية ، وأن من غير المرجح أن يتغير هذا في المستقبل القريب . ومن أجل جلاء الأمور سأذكر الأبعاد المتناقضة للصراع وأسبابه ، والشروط المنهجية إلى تعايش الثقافات وضرورة الحوار .

إشكالية جغرافية – دينية

هل مفهوم « صراع الحضارات » مبدأ يحكم التطورات المستقبلية ؟ قبل الإجابة عن هذا السؤال علينا أن نلقي نظرة سريعة على الكلمات المكونة لهذه المقولة . فليس ثمة توافق في نظم التسمية الاصطلاحية . فهل المقصود بذلك صراع الحضارة الإسلامية مع الحضارة المسيحية ، أي الإسلام والمسيحية ، أم صراع حضارة الشرق (وأي شرق مقصود) مع حضارة الغرب ؟ أم أننا نعيد طرح المقولة ليكون المقصود بها ، هل يشكّل الإسلام تهديداً للغرب ؟ دين سماوي يقابل منطقة جغرافية . وإذا لم يكن كذلك فإننا نقف على النقيض من دول أمريكا اللاتينية وبعض دول القارة الإفريقية ، وبذلك نلتقي مع المستشرق " برنارد لويس " الباحث في الدراسات الشرقية ، بأن بين المصطلحين ، الإسلام والغرب ، عدم تناظر . فالأول دين وهو بالنسبة للمسلمين ليس مجرد منظومة من العقائد والعبادات ، وإنما هو الحياة في مجملها ، وأحكامه تشمل القانون المدني والجنائي وحتى الدستوري . وفي الثانية " الغرب " أو " أوروبا " مفهوماً للثقافة والدين والدولة والحضارة ، بل وفوق ذلك فإن تعبير " الإسلام " ليس التعبير المناظر لتعبير " المسيحية " وحده ، بل " والعالم المسيحي " أيضاً .

في ضوء هذا الكلام يصبح واضحاً بدرجة كافية بأن علاقة الشرق بالغرب ليست مجرد علاقة جغرافية بين كيانين يحدّدان بعضهما بعضاً ويحددان هوية بعضهما بعضاً . وليست المسألة بوصفهما دينين . في الأولى تبنّى الغرب الديانة المسيحية ، وحديثاً اليهودية باعتبارهما ديانتين غربيتين مقابل الإسلام الذي عدّه الغرب ديانة شرقية تريد أن تمتد على حساب الغرب الذي يحاول بدوره تفكيكها وحصرها في بقعة محددة [1] . والمفارقة الكبيرة اليوم أن الإسلام بات ينتشر في الغرب ، والهاجس الأكبر أن تتحول " دار الحرب " الأوروبية إلى " دار إسلام " كما كان عليه الحال في الأندلس وصقلية وفي أجزاء من جنوب أوروبا وشرقها! .

(١) انظر إدوارد سعيد : الاستشراق ، ترجمة كمال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ١٩٨١م ، ص ٨٩ وما بعدها .

وفضلاً عما تقدم فإن هذا التقسيم الثنائي للعالم يرتبط أوثق الارتباط بمصالح دنيوية يرى الغرب في تهديدها تهديداً لمصالحه القومية التي تُستنفر من أجلها كافة الطاقات وتسوّغ من أجل بقائها كافة السبل . **ذلك إن المهم من هذا التقسيم الحفاظ على عالم غربي يمتلك المعرفة والقوة ويتمتع بالرفاهية ، وعالم شرقي متخلف يؤمّن المواد الأولية والسوق الاستهلاكية ويرضى بموقع التابع والمنفّذ .**

وعليه فإن هذا التقسيم يجب أن يبقى ، خاصة بعد أن تحوّل العالم من عالم القطبين إلى عالم القطب الواحد ، العالم الذي تسيّره أمريكا حسبما تريد وتُسخّره بما يخدم مصالحها الاستعمارية مستعينة بكافة الهيئات الدولية وعلى رأسها الأمم المتحدة . ومن يجرؤ اليوم على تحدّ إرادة الغرب السياسية والاقتصادية فإن عليه أن يدفع الثمن غالياً ثم ينصاع في نهاية المطاف لهذه الإرادة .

بعض المسؤولين الغربيين ، ومنهم نائب الرئيس الأمريكي السابق دان كويل ، والأمين العام السابق لحلف الناتو " ويلي كلايس " ، اعتبروا علانية الإسلام خليفة للشيوعية ومن ثم التهديد الأكبر للأمن الغربي ، مما أكسب الحديث " عن صراع الحضارات " زخماً جديداً . وقد طرح عدد من المفكرين في تقويمهم الدوافع الحقيقية الكامنة وراء هذا التصور الغربي للإسلام فرضية " العدو الضروري " [١] . فلم يعد الاتحاد السوفييتي أو الشيوعية يشكلا عدوّين يبرران الجهاز العسكري المكلف والمتعاظم . فلا بد إذاً من إيجاد عدو جديد يوجّه قواه لاحتوائه وإخضاعه ، **ولا بد من افتعال صراع جديد مع الآخر لتورطه وزجّه في نزاع يؤجج مناخ المواجهة ما دامت ستنتهي بهزيمته واحتوائه والتحكم بمقدراته ومصائره ، وهذا ما حدث .**

أسباب الصراع

سؤال العلاقة بين الحضارات سؤال تاريخي ، والسؤال التاريخي لا ينبع إلاّ من

(٢) انظر : رنا قبّاني : أساطير أوروبا عند الشرق . ترجمة صالح قباني – دار طلاس ، دمشق ١٩٩٣م ، ص ١٩ وما بعدها .

واقع سيرورة التاريخ ، والإجابة عليه تتطلب العودة إلى تاريخ العلاقة بين الحضارات ، أي إلى الاستقراء للوصول إلى حكم عام يعكس خطاب الحضارة السائد الآن . أي العلاقة بين الغالب والمغلوب . فالغربي المنتمي إلى الحضارة المتفوقة مأسور في هذه الحضارة ، لأنها بالنسبة له مقياس التقدم الحضاري . وهكذا غدا الجزئي كليّاً ، بل وأصبح التقدم التقني والعلمانية ونمط الحياة الغربية المقياس الذي نقيس به الآخر . وأصبحت حياة الرفاه منطلقاً للنظر إلى حالة البؤس والكفاف التي يعيشها العالم الآخر ، وأقصد بذلك البؤس السياسي والاجتماعي والاقتصادي .

استناداً إلى ما تقدم فنحن أمام عالمين متناقضين لحضارتين مختلفتين . عالم العربي والمسلم الذي يرى في الأوروأمريكي غالباً ومهيمناً ومستعمراً . وعالم الغربي الذي يرى علاقته بالآخر علاقة تناقض وصراع ، وإن ألبسها مفاهيم الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وحقوق المرأة .

أما الأسباب المنطقية للصراع فهي كثيرة ، ولكن بعضها منطقي وجدير بالملاحظة .

● **اللاتاريخية**

فليس ثمة وعي بالماضي . فالذي يؤجج الصراع لا يستطيع أن يترك مسافة تفصل بينه وبين الأحداث الذي وقعت في الماضي ، مهما بعد ذلك الماضي أو قرب . كل ما حدث في أي زمان ومكان هو بالنسبة إليه حاضر هنا والآن [١] . وبناء على ذلك فإن كل ما يحدث له ، بغض النظر على زمان الحدث ومكانه ، هو حقيقة ماثلة للعيان! الجنرال اللمبي يقف على قبر صلاح الدين الأيوبي بعد مرور أكثر من ٧٠٠ عام على انتهاء الحروب الصليبية سنة ١٩٢١م ليعلن : « ها قد عدنا يا صلاح الدين » . القائد الصربي راتكو ملاديتش يعتبر مذبحة " سربينيتشا " لمسلمي كوسوفا انتقاماً لمعركة

(١) Dzevad Karahasa: Literatur als Verteidigung der Geschichte. In: Art & Thought, Nr. 76, 39. Jahrgang 2002, S. 50.

حدثت في كوسوفا مع الصرب سنة ١٣٨٩م [١] . ألم يظهر دعاة العدوان الأمريكي على العراق النمط ذاته في اللاتاريخية ؟ ألم يفسر هذا العدوان بأنه استمرار للحروف الصليبية التي حدثت قبل ٧٠٠ عام . نفس المشهد يتكرر في العراق وقبلها في البوسنة وقبلها في بلاد الشام ، نفس المنطق ونفس المقاييس . ولكن هل تهم كل هذه التفاصيل الجنرالات الذين سمعوا بتلك المعارك وشعروا بحتمية الثأر ، ولكي يثأر عليه أن يجد أحداً سواه يصب عليه جام غضبه . قد نطلق على تلك التاريخية وصف الهمجية أو عالم الوحوش . ألم يصف وزير العدل الصهيوني ما حدث في أيار ٢٠٠٤م في رفح بأن العالم يصفنا لما نفعله برفح بالوحوش ؟

إنها لا تاريخية تحاول استدعاء أحداث وقعت في الماضي البعيد لتضعها في الوقت الحاضر الآني . ليس بالضرورة كل الأحداث وإنما أحداثاً معينة ذات أثر بالغ في تأجيج الحقد والعداوة .

● **الجماعية الصناعية**

وهي نوع من الشعور الجماعي الذي فشا في العصر الصناعي . إنها عودة إلى أشكال التفكير التي كانت سائدة في العصر القبلي أو البدائي [٢] . ولا ننكر الثورة الصناعية ، وما يرتبط بها من رؤى ومفاهيم ، وما أفرزته من أشكال جماعية أتيح لنا التعرف على أنماط تفكيرها ومسلكها من خلال الحرب العالمية الأولى والثانية ، وفي عالمنا العربي والإسلامي من خلال معاهدات سايكس بيكو ووعد بلفور ، وحديثاً في منطقة البلقان وأفغانستان والخليج ، وستظل نتائجها ماثلة للعيان . لقد تمثلت الجماعية الصناعية في العديد من الأنظمة القومية والشمولية التي تجعل من الانتماء إلى قومية معينة أساساً للهوية الإنسانية . إن قياس إنسانية الإنسان واختزال هويّته على

(١) انظر : دافيد ، ريف : مجزرة البوسنة ونخال الغرب ، ترجمة عبد السلام رضوان ، ومحمد الصاوي الدين . الكويت ، مؤسسة الشراع العربي ، ١٩٩٥م .

(٢) Karahasa: Literatur, S. 51

هذا النحو لتقتصر على أن الانتماء هو ما أفرزه منطق الإنتاج الصناعي ، حيث أن كل نسخة من سلعة ما ، وكل إنسان من قومية ما ، تتطابق تماماً مع كافة النسخ من السلعة نفسها أو من القومية نفسها ، وبالتالي يمكن استبدالها بأي نسخة أخرى ، مما أفقد الإنسان الشعور بإنسانيته وبوجوده كإنسان ، فتكونت لديه رؤى ومفاهيم متناقضة " التقدمية " ، " الرجعية " ، " الطبقية " ، " الرأسمالية " ، " الإرهاب " ، " التطرف " وهكذا .. ، هذه المفاهيم تستند إلى العداء والخوف من الآخر . فأصبح يشعر أن من واجبه أن يثأر ، وأن الآخر ، هدف ملائم للثأر . " الأنا " تطابق " النحن " وكل فرد في الجماعة " نحن " متماهٍ مع " الأنا " . وكل فرد في " الأنت " متطابق مع " الأنتم " .

● **العلاقة المعارضة " إما ..... أو "**

وهي تعبير عن العلاقة المتوترة بين " الأنا " وكل الهويات الأخرى . كما يُختزل الوجود الإنساني في الانتماء إلى جماعة معينة ، تتقلص العلاقات بين الهويات الفردية لتنصهر في إمكانية واحدة . الإقصاء الكامل للآخر ، فكل ما هو سواي هو الآخر ، وكل ما هو سوانا هم الآخرون [١] ، وفق مبدأ التناقض " أما ... أو " . فإما أن تكون " أنت " واحد " منا " أو لا تكون مطلقاً . تلك هي العلاقة الأساسية بين الأشياء في عالم آلي التفكير لا وجود فيه للآخر [٢] .

إننا عندما نختزل كافة أشكال العلاقة الممكنة بين " الأنا " وكل الهويات الأخرى إلى شكل عدواني واحد " إما .... أو " فهذا يعني أن التصادم حتمي ولا مفر منه .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥١

(٢) مقولة " إما معنا أو مع الإرهاب " هي التي أطلقها بوش الابن ، وهي تعني الالتزام بكل ما هو أمريكي ، وإلاّ فإن الحرب ستطاله . وهي حرب ليست ضد دولة محددة ، بل ضد شبكة ممتدة في دول عديدة ، تحددت حسب القوائم الأمريكية بستين دولة . وتستطيع الولايات المتحدة الأمريكية من خلالها تحقيق عدد من القضايا منها : ١- تأكيد زعامتها . ٢- إنهاء الحركة المناهضة للعولمة . ٣- إسقاط الدول المارقة . ٤- السيطرة على آسيا الوسطى . ٥- السيطرة على قوس النفط الممتد من الخليج إلى بحر قزوين .
انظر : سلامة كيله : عسكرة العالم أو الرؤية الأمريكية لصياغة العالم في : الطريق ، العدد ٣ ، أيار- حزيران/مايو-يونيو ٢٠٠٣م ، السنة ٦٢ ، ص ٤٠-٤١ .

ومن الأمثلة التي توضّح هذا المنطق هو " صموئيل هنتنغتون Samuel P. Hantington " في كتابه " صراع الحضارات " [١] الذي نادى فيه بمقولة أن مستقبل الأمم لن يتحدد من خلال النظم الاجتماعية بعد اليوم ، ولكن من خلال ما يدور بين الحضارات من صراعات دينية وثقافية نظراً لتواجد حضارات متعددة في العالم . وقد نزل هنتنغتون بنظريته إلى سوق التنظير العسكري ليسوّغ كل الحروب الوحشيّة التي تشنها الدول الاستعمارية على الدول المستضعفة ، أي على هؤلاء " البرابرة المارقين " : أو دول " محور الشر " ممن يشكلون الخطر الراهن على الحضارة الرأسمالية .

ويفسر هنتنغون قناعته بحتمية الصراع بين الحضارات المختلفة ، وأن الكراهية شعور إنساني ، وأن البشر بحاجة إلى أعداء لتعريف الذات وإيجاد الدوافع . وخلاصة هذه النظرية هي : « أن المصدر الأساسي للصراع في هذا العالم الجديد لن يكون بشكل رئيسي أيديولوجياً أو اقتصادياً . وستكون التقسيمات الكبرى ضمن النوع البشري ومصدر الصراع المهيمن ثقافتها ، وستظل الدول القومية اللاعبين الأكثر قوة في الشؤون العالمية . ولكن الصراعات الرئيسية للسياسة العالمية ستحدث بين أمم وجماعات ذات حضارات مختلفة ، وسيهيمن صدام الحضارات على السياسة العالمية . وستكون خطوط الصدع بين الحضارات خطوط المعركة في المستقبل » [٢] . وبكلمة موجزة بأن مقالة " صراع الحضارات " تدعو للعودة إلى " شريعة الذئاب " ، حيث تتحول الدعوة إلى الانفتاح والعولمة إلى أيديولوجية صارمة يجب أن يخضع لها الجميع ، وإلا فإن قانون الغاب سيتكفّل بالعقاب .

---

(١) Smauel P. Hantington: The Clash of Civilisations: in Foreign Affairs, Vol. 72, No.3 summer, 1993.

وقد وسّع المؤلف مقالته وأخرجها في كتاب حمل عنوان :

Smauel P. Hantington: The Clash of Civilisations an the Remarking of World order. Simon & Schuster. New York 1996.

وقد ترجم إلى العربية بعد عامين من نشره بحث بعنوان :

صاموئيل هنتنغتون : صدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي ، ترجمة طلعت الشايب ، تقديم صلاح قنصوه . دار سطور ، القاهرة ١٩٩٨م .

(٢) هنتنغتون : صدام الحضارات (بالإنجليزية) ، ص ٢٢ .

● **دواعي الحوار وأسبابه**

يُخفي الحديث عن '' حوار الحضارات '' حقيقة ما تتعرض له معظم ثقافات العالم من انسحاق وتهديد بالتفكك والدمار نتيجة الهيمنة الواسعة للثقافة الأمريكية ، بسبب سيطرة الولايات المتحدة على شبكات العولمة الرئيسية . ولكنه يوحي ، ولو شكلياً بتساوي الثقافات وندّيتها ، وهو بلا شكّ إيحاء غير صادق لا علاقة له بالواقع ، بل إنه رد فعل وهمي على الشعور بالسيطرة الثقافية . كما يُخفي الحوار دوافع الصراعات التي تجري في العالم والتي تعود إلى التنافس على الموارد المادية والمعنوية (الثقافية) . كما إن الحديث عن '' حوار حضاري '' مقابل '' صراع حضاري '' يقتضي التدقيق بالشروط الاقتصادية والثقافية والسياسية لإنجاز مثل هذا الحوار بين حضارتين أو أكثر [١] .

ومن الشروط الواجب ذكرها عند الحديث عن حوار حضاري :

● **مبدأ الذاتية**

ينطوي على تأكيد أن الإنسان بوصفه مبتدأ الموقف ومنتهاه . وأن مسؤوليته عبادة ، وخلافة ، وشريعة ، وعمارة للأرض ، وأن مقدار ما ينجزه من واجبات ينال ما يستحقه من حقوق . ولولا اضطلاعه بمسؤولية الواجبات لما صار صاحب حقوق ، بل لما صار إنساناً يكتمل وجوده باكتمال واجباته وكمالها . ولننظر إلى الرسالة الإنسانية التي كلفنا الله بحملها إلى البشرية كافة ولننظر إلى ذلك التوازن الرائع الذي تجسده الآية الكريمة ، حيث يأمرنا الله تعالى بالتفكر والتدبر في شؤون الدين والدنيا معاً ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [القصص : ٧٧] .

---

(١) بدأت فكرة الحوار بين الثقافات تنتشر بموازاة فكرة الصراع الحضاري . وقد تلقتها المنظمات الثقافية الدولية وفي مقدمتها اليونيسكو وعُقدت أول ندوة حول الموضوع في لشبونة سنة ١٩٩٠م . وعقدت ندوة ثانية تحت عنوان '' من أجل التضامن وضد التعصب في سبيل حوار بين الثقافات '' ما بين ١٣-١٥ تموز/يوليو ١٩٩٥م في جورجيا ، ثم تلاها العديد من المؤتمرات والندوات .

● **مبدأ التعددية**

يقوم هذا المبدأ على الإقرار غير المشروط بـــ " الآخر " بقدر ما يُقرّ بـــ " الأنا " ، ويقبل الاختلاف في المرجعية الثقافية . إن جدلية العلاقة بين الأنا والآخر وإن كانت مركّزة فإنها لا تفرط بخصوصية كل من الهويتين . وبناء على ذلك فحوار الحضارات لا يتجه إلى إقصاء أو إلغاء خصوصيات الهويات الأخرى بقدر ما يسعى إلى إثرائها وتطويرها ، وهذا ما يحاول نظام العولمة الجديد إنهاءه لصالح خصوصية ثقافية واحدة مطلقة ، وهي تبدو ذات نزعة همجيّة متوحّشة تضع نصب عينها إسقاط كل الهويات الأخرى ، من أجل تسويق عولمة رأسمالية تعمل حقاً في اتجاه توحيد العالم في " قرية كونية " يمكن استشرافها والتحكم بها من أقصاها ، وذلك عبر ما تحققه من تقدم هائل مفتوح على صعيد التكنولوجيا والمعلوماتية ، وفق آليات الهيمنة الاقتصادية والجيوسياسية والثقافية .

● **التفاعل المتبادل**

تجاوز نقطة الاعتراف المتبادل إلى تقبّل التفاعل بين الهويات الثقافية المتعددة والتي تسمح بالتعايش بين مختلف الأعراف الحضارية بعيداً عن الهيمنة الثقافية من قبل ثقافة على أخرى [١] . ومن الأسس التي توفي في تحقيق هذا الهدف :

١- الاعتراف بمتطلبات البقاء والتوازن المتواصل في الأيكولوجيا الكونية ..

٢- القبول بالمتبادل لضبط العنف في حسم الصراعات ..

٣- الاتفاق العام على كشف مصادر الصراع وتطوير إجراءات حل ومعالجة الصراع الذي يأخذ في الاعتبار تعايش الرؤى المتباينة [٢] .

● **العدالة في التوزيع**

عدالة توزيع الثروات في العالم ، وإسهام كل بلدان الأرض في إنتاج ثمار التقدم

(١) انظر : السيد يسين : حوار الحضارات في عالم متغير . بحث مقدّم للمؤتمر الدولي حول " صراع الحضارات أم حوار الحضارات ؟ " ، القاهرة ١٠-١٢ مارس ١٩٩٧ ، ص ١٠ .
(٢) نفس المرجع ، ص ١٠ .

التاريخي . وهنا يكون الحوار قد اكتسب عملية تأسيس حاسمة باتجاه " قرية كونية " يسقط التناقض فيها بين الهيمنة السياسية والاقتصادية من طرف ، وبين التقدم العلمي الهائل في الغرب مع ما يرافقه من تهميش واستغلال للآخر ، من طرف آخر لصالح وحدة الشعوب كافة . وقد يكون الحديث عن عدالة التوزيع وانتفاء الهيمنة الاقتصادية كمن يتحدث عن المستحيل ، ولكن ذكرها هنا كشرط من شروط الحوار .

إن جدية الحوار الحضاري ترتبط بالقوة ، غير أنه لا ينبغي أن يفهم من ذلك على أن عليها أن نستسلم للنظام العالمي الجديد لمجرد أنه من يدعو له قوي ونحن ضعفاء . ذلك أن التاريخ يدور دورته ، ودوام الحال من المحال . ولأن تغيّر الأحوال يعلمنا أن الضعيف ، إذا كان منهجياً ومنظماً في عمله ، قد يكون حاسماً في إيجاد ظروف تاريخية تساعده على تخطي القوي ، بل وفي إبداع تصورات حضارية جديدة .

تبقى قضية مهمة تتعلق بـــ " الحوار الداخلي " . فلن نستطيع الحوار الثقافي مع الآخر إذا لم نتمكن من إنجاز حوار ثقافي مع الداخل . داخل كل حضارة بمفردها . فعلاقات الحوار الداخلي التي تنطوي على التعددية وعلى الاعتراف بالآخر ، وضرورة التداول السلمي للسلطة ، هي التي يجب أن تكون المهيمنة على العلاقات الداخلية قبل الخارجية ، وهي وحدها الكفيلة بتكوين " ذات كلية " أو جماعية ، ولو نسبياً ، يمكن بالاستناد إليها أن نتحول من الحوار في الداخل إلى قيادة الحوار أو الصراع مع الخارج بشكل ناجح ومثمر .

خاتمة

إن الثقافات الإنسانية جهد إنساني مشترك ، وحصيلة تلاقح وتفاعل مع الآخر ، ويشترك فيها العنصر الخارجي والداخلي أكثر مما تكون ناجمة عن عبقرية خالصة أو تدّعي لنفسها مكانة متميزة فوق سائر الثقافات الإنسانية . والحضارة الغربية مثلها مثل باقي الحضارات الإنسانية تدين للآخر زماناً ومكاناً . والغيرة عليها والحفاظ على ديمومتها لا يكون بالحديث عن الحقد والكره وحتمية الصراع .

إن طغيان وهيمنة الثقافة الغربية ليس أبدي . صحيح أن القوي هو الذي يفرض ما يريد والحضارة القوية لا تحاور بل تهيمن . ولا تتأثر بغيرها بل تنتج

مؤثرات على الغير . والحضارة الراكدة لا تحاور أيضاً ، بل تستقبل كجهاز استقبال ليس إلاّ . ولكنّ القوة زائلة ، ونستبعد أن تخلّف الحضارة الغربية مع عظم مكتسباتها وتعاليها في العراق وأفغانستان ما تركته الحضارة الإسلامية في الأندلس من آثار تشهد على سموها ورفعتها .

إن تعميق الحوار الحضاري والبحث عن أبعاد جديدة في عالم منقسم على نفسه لا يكون إلاّ بالتفاعل الثقافي بدلاً من الهيمنة الثقافية .

والاعتراف بمبدأ التعددية بدلاً من الهيمنة التي تضع في حسابها إسقاط وإلغاء كل الهويّات الأخرى . والكفّ عن العقلية التي لا ترى في الشرق إلا عالماً متخلفاً عليه تأمين مواد أولية وأسواق استهلاكية لعالم غربي يمتلك القوة والمعرفة ويتمتع بدرجات عالية من الرفاهية .

وعلينا أن نلاحظ أخيراً أن " صدام الحضارات " لا يتوقف على عوامل دينية أو اجتماعية أو ثقافية فحسب ، بل للعوامل السياسية والاستراتيجية أولية كبرى أيضاً .



للمشاركة على بريد القراء

Leserbriefe@alraid.net

للدعاية والإعلان في مجلة الرائد وفي صفحة الرائد الإلكترونية

و في صفحة الدار الإسلامية للإعلام الإلكترونية

Advertisment@iid-alraid.com